سبل النجاة من الفتن من خلال
سيرة حذيفة بن اليمان ﷺ ومروياته

الدكتورة/ رقية بنت نصر الله محمد نياز
قسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بكلية التربية لإعداد المعلمات – الرياض



المقدمـــة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

فإن وقوع الفتن سنة من السنن الربانية التي لا تتغير ولا تتبدل في كل زمان ومكان، ولايكاد يسلم إنسان من التعرض لها، بصورة أو بأخرى، قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ .[1]

وهذه الفتن تشتد مع تأخر الزمان، يقول ﷺ: (ثم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على جمر). [2]

وفي زماننا هذا اشتدت الفتن وعظمت، وأصبح العالم يموج بالفتن، يصبح الحليم فيها حيراناً، يقول فضيلة العلامة صالح الفوزان: "إن العالم الآن تقارب، فصار ما يحدث في أقصاه يصل إلى أقصاه بسرعة، ينتقل ما يحدث من الشر، ومن الفسوق والمعاصي ينتقل بواسطة الوسائل الحادثة الآن، حتى يدخل في البيوت المغلقة، وحتى يصل إلى البادية في البر في بيوت الشعر، بواسطة هذه الوسائل، وينظرونه كأنهم حاضرون في المكان الذي حدث فيه، لا ، بل قد يكون أوضح من المكان الذي حدث فيه هذا الشر، هذا من الابتلاء والامتحان، يموج العالم الآن بالفتن". [3]

---

(١) سورة العنكبوت / الآية: ١ ، ٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه في أبواب الفتن (١١٧/٩) رقم الحديث ٢٢٦٠ بشرح ابن العـــربي- دار الكتاب العربي- بيروت. وصححه العلامة محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٧٢٩ (ص ٤٩٨) مكتبة المعارف- الرياض ، ط. الأولى ١٤٢٥هـــ.

(٣) الفقه في الدين عصمة من الفتن، الشيخ/ صالح بن فوزان الفـــوزان (ص ١٥ ، ١٦) المكتـــب التعاوني للدعوة والإرشاد، ط. الأولى ١٤٢٥هـــ.

ومع هذا كله فالله سبحانه وتعالى تكفل بتثبيت عباده المخلصين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ .[1]

ومما لا شك فيه أن هذا التثبيت يحتاج إلى بذل أسبابه والعمل بمسبباته، وهي التي بينها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- بقوله: سبيل السعادة، وسبيل النجاة من الفتن، هو السبيل الذي سلكه المؤمنون السابقون، من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، وهو العلم بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ والعمل بهما.

فأصحـــاب النبي ﷺ هم أهل العلم بما قاله الله ورسوله، وهم أهل العمل بذلك[2] ويؤكد هذا الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بقوله: أن يكون مأخذ ضوابط وقواعد الفتن من السنة العملية المرعية التي عمل بها صحابة رسول الله ﷺ، فصحابته والتابعون بعدهم وأئمة أهل السنة والجماعة كان لهم سيرة عملية في الفتن، إذا ظهرت، وفي الأحوال إذا تغيرت، رعوها، وأخذوا فيها بالأدلة، وطبقوها، ورعوها عملياً، لهذا لن يزيغ بصرنا، ولن تزيغ عقولنا، إذا أخذنا بما عملوا به، وبما أخذوا به من الأدلة، وبما ساروا فيه بالسيرة العملية[3] .

ولما كان الأمر كذلك، كان لا بد من مرافقة الصحابة رضوان الله عليهم في سيرهم، وقراءة أخبارهم عند التصدي للفتن في هذا الزمان، لأنه لن يصلح آخر

---

(١) سورة إبراهيم / جزء من الآية: ٢٧.

(٢) انظر: الفقه في الدين عصمة من الفتن، (ص ٢٨ ، ٢٩) مرجع سابق.

(٣) انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن، لمعالي الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الـــشيخ (ص ١٢) مؤسسة الحرمين الخيرية بالتعاون مع مكتب الدعوة والإرشاد- الرياض عام ١٤١١هـــ .

هذه الأمة إلا بما صَلُح به أولها. وكذلك لما كان الصحابة يتفاوتون في العلم، وفي أقسامه، حيث أعلمهم على الإطلاق أبو بكر، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنهم، فقد كان حذيفة ﷺ أعلمهم بالفتن من حيث مؤججيها وهم المنافقون، ومَن حيث أماراتها، ومن حيث وقوعها وأحداثها، حيث نال هذه الخبرة بشهادة عالية وعظيمة هي شهادة خير البرية محمد ﷺ وكذا شهادة الصحابة الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. [١]

ولما كان لحذيفة ﷺ هذه المزية العظيمة في معرفة الفتن وأحوالها أحببت أن أبين في هذه المحاولة المتواضعة منهجه ﷺ في مقاومة الفتنة، فكان هذا الموضوع تحت عنوان: سبل النجاة من الفتن، من خلال: " سيرة حذيفة ﷺ ومروياته" وقد حاولت خلال هذه الدراسة - قدر الإمكان- ذكر مرويات حذيفة ﷺ في الفتن. أما باقي الروايات فكانت خارجة عن هدفي وغرضي.ولقد اعتمدت على الروايات الصحيحة في الأحاديث المرفوعة، أما الآثار فقد حرصت على إحالتها إلى المصادر الأصلية في أمهات الكتب، وحكمت على ما تيسر لي العثور على حكم عليها من كتب أهل الاختصاص المعتمدين. وقد قسمت الموضوع على النحو التالي:

المقدمـــــة: في بيان أهمية الموضوع وسبب اختيار البحث.

المبحث الأول : سيرة حذيفة ﷺ وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن سيرته ﷺ.

---

(١) سيأتي بيان هذا في المبحث الأول ، المطلب الثاني .

المطلب الثاني: في بيان تميز حذيفة رضي الله عنه وخبرته بمعرفة الفتن واشتمل على **أربعة مسالك:**

المسلك الأول: شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه بالعلم بالفتن.

المسلك الثاني: حديثه عن نفسه رضي الله عنه في العلم بالفتن الواردة في الكتاب والسنة.

المسلك الثالث: شهادة الصحابة رضوان الله عليهم له بالخبرة في علم الفتن.

المسلك الرابع: أقوال السلف الصالح عن تميزه رضي الله عنه في علم الفتن.

المبحث الثاني: سبل النجاة من الفتن ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الفتن.

المطلب الثاني: سبل النجاة من الفتن كما بينها حذيفة رضي الله عنه وفيه **أحد عشر مسلكاً**:

المسلك الأول: الاعتصام بالله واللجوء إليه.

المسلك الثاني: العلم بالشرع والفقه بالدين.

المسلك الثالث: لزوم جماعة المسلمين ونبذ الفرقة.

المسلك الرابع: إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المسلك الخامس: اعتزال الفتن وأهلها.

المسلك السادس: إمساك اللسان عما يشعل الفتن وإن كان حقاً.

المسلك السابع: البحث والتفتيش عن مواطن الفتن في النفس.

المسلك الثامن: الزهد في الدنيا.

المسلك التاسع: الرفق والحلم والأناة.

المسلك العاشر: الصبر عند وقوع الفتن.

المسلك الحادي عشر: الرفقة الصالحة.

المبحث الأول: سيرة حذيفة ﷺ :وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن سيرة حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه :

اسمه: حـــذيفة بن حِسْل- ويقـــال بالتصغير حُسَيْل [1] - ابن جابر بن عمرو [2] بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان العبسي القطمي.

كنيته: يكنى حذيفة ﷺ بأبي عبد الله العبسي. [3]

لقبه: يلقب بابن اليمان، واليمان لقب لأبيه حُسيل بن جابر، ولجده جروة بن الحارث، وإنما لقبوا بذلك. لأن جروة أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف هناك بني عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن. [4]

أمه: أما أمه، فهي امرأة من الأنصار، من بني عبد الأشهل، واسمها: الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الأشهل. [5]

---

(١) انظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للحافظ الخطيب البغدادي (١٧٣/١) دار الكتب العلمية- بيروت. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٤٦٨/١) بدون الطبعة وتاريخها.

(٢) وفي الإصابة: بدون ذكر "عمرو" انظر: الإصابة في تمييز الصحابة/ للحافظ ابن حجر العـــسقلاني (٦٦/٢) دار الكتب العلمية- بيروت.

(٣) انظر: المراجع السابقة، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير/ لابن عساكر (٩٦/٤) هذبه ورتبه: الـــشيخ عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي- بيروت. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن الأثير (٣٣٤/١) دار الجيل- بيروت.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٦٨/١) مرجع سابق، وانظر: المراجع السابقة.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٣٤/١) مرجع سابق، وانظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجـــال للحافظ جمال الدين المزي (٥/ ٤٩٧) تحقيق / د. بشار معروف- مؤسسة الرسالة، ط. الخامـــسة ١٤١٥هـــ.

إسلامه: لم تذكر كتب السيرة والتاريخ تحديداً وقت إسلامه، لكن هناك إشارات تؤكد أن إسلامه وهجرته، هو وأبوه، كانت قبل معركة بدر الكبرى، ولم يشهداها [1]، وشهد هو وأبوه حسيل وأخوه صفوان أحداً واستشهد أبوه فيها.[2]

وفاته: اختلف في تاريخ وفاته، فقيل توفى سنة خمس وثلاثين، وتذكر بعض الروايات أنه مات سنة ست وثلاثين[3]، وقد رجح العلامة ابن عبد البر وغيره، الرواية الثانية إذ قال: "ومات حذيفة سنة ست وثلاثين بعد مقتل عثمان في أول خلافة علي رضي الله عنهما، وقيل: توفي سنة خمس وثلاثين، والأول أصح".[4]

المطلب الثاني: تميز حذيفة ﷺ وخبرته بمعرفة الفتن، وفيه أربعة مسالك:

امتاز حذيفة بن اليمان ﷺ بالخبرة في علم الفتن، وكان ﷺ معلماً بارزاً في ذلك، كيف لا، والرسول ﷺ هو الذي منحه ذلك الوسام حين رأى منه حكمة وحصانة ورغبة في معرفة الشر، حتى نمت موهبته فعلاً أعظم نماء، وصار

---

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٦٨/١) وتاريخ بغداد (١٧٣/١) والإصابة في تمييز الصحابة (٦٦/٢) مراجع سابقة. ويحدثنا رضي الله عنه عن السبب في عدم شهودهما معاً بدر بقوله: "ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمداً ؟ فقلنا: ما نريده: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه، لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: (انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم) صحيح الإمام مسلم: كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد (١٤١٤/٣) حديث رقم ١٧٨٧.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٣٤/١) مرجع سابق.

(٣) انظر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٦/٤) مرجع سابق والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ للعلامة أبي الفرج محمد بن الجوزي (١٠٧/٥) دار الكتب العلمية- بيروت. وإكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال للعلامة/ علاء الدين مغلطاي (١٧/٤) دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٣٥/١) مرجع سابق.

مصدراً من المصادر الأساسية في علم الفتن والشرور، وأساسها النفاق والمنافقين.

وسوف أبين هذه الخبرة وهذا التميز من خلال شهادة الرسول ﷺ بذلك، وكذلك حديثه ﷺ عن نفسه واعتزازه بتلك الخبرة، ثم بشهادة بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وأخيراً أقوال بعض الأئمة المعتبرين من سلفنا الصالح، ويكون بيانه وتفصيله في مسالك عدة في الصفحات القادمة -إن شاء الله تعالى-

المسلك الأول: شهادة الرسول ﷺ لحذيفة ﷺ بالعلم بالفتنة :

إن شهادة الرسول ﷺ بتميز حذيفة ﷺ في مجال العلم بالفتنة جاءت من خلال تخصيصه بأن أعلمه بجميع أسماء المنافقين، ومعلوم أن المنافقين هم أس الفتن وأساسها، فهم المروجون لها. يقول الإمام ابن أبي جمرة مؤكداً ذلك: وحذيفة ﷺ من النوع الذي حبب إليه معرفة وجوه الشر كي يتقيه، ويحذر عنه غيره، فضل فيه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولما علم ﷺ هذا الذي أشرنا إليه خصه بأن أعلمه بجميع أسماء المنافقين، ويترتب على هذا من الحكمة والنظر، أن الذي حبب لشخص هو الذي يفوق فيه غيره، يؤخذ ذلك من حال حذيفة ﷺ.[1]

وقد جاءت بعض المواقف تؤكد تصريح النبي ﷺ بانفراد حذيفة ﷺ بذلك، ومن هذه المواقف: لما حاول جماعة من المنافقين الملثمين أن يطرحوا رسول الله ﷺ عن راحلته من رأس عقبة في الطريق، وفي عتمة الليل، وهم في طريق العودة من غزوة تبوك، فشعر حذيفة ﷺ بمؤامرتهم.[2]

---

(١) انظر : بهجة النفوس، شرح مختصر صحيح البخاري، للعلامة ابن أبي جمرة الأندلسي (٢٦٢/٤/٢) دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله (ص ٦٣٠) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. الأولى ١٤١٢هـ.

وبيان ذلك لما سُئل حذيفة ﷺ كيف عرف أمر المنافقين و لم يعرفه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، أبو بكر، ولا عمر رضي الله تعالى عنهم، قال إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ ، فنام على راحلته، فسمعت ناساً منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلته، فاندقت عنقه، فاسترحنا منه. فسرت بينهم وبينه، وجعلت أقرأ وأرفع صوتي، فانتبه النبي ﷺ ، فقال: من هذا فقلت: حذيفة، قال: من هؤلاء..؟ قلت: فلان وفلان، حتى عددهم. قال: أو سمعت ما قالوا ..؟ قلت: نعم، ولذلك سرت بينك وبينهم. قال فإن هؤلاء فلاناً وفلاناً ، حتى عد أسماءهم منافقون، لا تخبرن أحداً. [1]

ومما يؤكد هذه الشهادة العظيمة بعض الأحاديث الشريفة التي أظهرت حرص النبي ﷺ على إخبار حذيفة ﷺ عن أحوال الفتن، بكل تفصيلاتها، والتي سوف تُذكر بإذن الله في ثنايا هذا البحث، مع قوله ﷺ: (ما حدثكم حذيفة فصدقوه). [2]

---

(١) المعجم الكبير/ للإمام الطبراني (١٨٢/٣) حديث رقم ٣٠١٥، موقع شبكة مشكاة الإسلامية على الإنترنت، وقد علق على هذه الرواية الحافظ المزي بقوله: وفيه مجالد بن سعيد، وقد اختلط، وضعفه جماعة، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٤٩٥) وضعف الإسناد لا يعني ضعف المتن، حيث أخرج الإمام مسلم نحوه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٢١٤٣/٤) مرجع سابق.

(٢) رواه الإمام الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب حذيفة بن اليمان رضي الله عنه،(٦٧٥/٥) حديث رقم (٣٨١٢) وقال: حديث حسن. دار إحياء التراث العربي- بيروت. وضعف هذه الرواية العلامة الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص ١٠٢) حديث رقم ٣٨١٢، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج -الرياض. وعلق عليه الشيخ الأرناؤوط بقوله: إسناده ضعيف، وقد حسنه الترمذي، انظر: هامش جامع الأصول (٥٩/٩) مؤسسة عبد الحفيظ البساط- بيروت ١٣٩٢هـ.

المسلك الثاني: حديث حذيفة ﷺ عن نفسه في العلم بالفتن الواردة في الكتاب والسنة :

تحدث حذيفة ﷺ في هذا الصدد، وبين علمه بالفتن من خلال التصريح بانفراده بذلك، مستخدماً أسلوب القسم تأكيداً لذلك، فقال: "والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة. وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إليّ في ذلك شيئاً، لم يحدثه غيري".[١]

كما صرح بتفرده ذلك في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لما سأل : "أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال حذيفة ﷺ: أنا أحفظ كما قال. قال : هات إنك لجريء".[٢]

وفي رواية الإمام مسلم ، قال عمر بن الخطاب ﷺ "... ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر ...؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت، لله أبوك- إلى أن قال في نهاية الرواية - إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط". [٣]

وعلق الإمام النووي على قول حذيفة "فأسكت" بقوله: "وإنما أسكت عمر ﷺ القوم، لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة". [٤]

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة(٤/٢٢١٦) حديث ٢٨٩١، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية ١٤٠٠هـ.

(٢) صحيح الإمام البخاري، مع الفتح،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٦٠٣ ، ٦٠٤) حديث رقم ٣٥٨٦، وفي كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (١٣/٤٨) حديث رقم ٧٠٩٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، (١/١٢٨) حديث رقم ١٤٤، مرجع سابق.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام النووي (١/٢/١٧١) مكتبة الريان- القاهرة.

أما الحافظ ابن حجر فقد علق على قوله "حدثته حديثاً ليس بالأغاليط"، أي : "حدثته حديثاً صدقاً محققاً من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا عن اجتهاد ولا رأي" [1] وهذا مما يؤكد علمه في ذلك المجال.

المسلك الثالث: شهادة الصحابة لحذيفة ﷺ بخبرته في علم الفتن :

شاع بين الصحابة رضوان الله عليهم تمكن حذيفه ﷺ في مجال الفتن، وقد شهد له جمع من الصحابة، نذكر بعضاً منهم **على النحو التالي:**

أولاً: شهادة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ : كان عمر يناشد حذيفة رضي الله عنهما ويقول: "أأنا من المنافقين..؟ فيرد عليه: لا، ولا أزكى أحداً بعدك" [2] بل ويدرك ﷺ بحكمته مكانة حذيفة ﷺ في هذا الجانب، فيستدل برأيه لمعرفة عماله، فيسأله: " أفي عمالي أحد من المنافقين ؟ قال حذيفة: نعم، واحد. قال: من هو ؟ قال: من لا أذكره، قال حذيفة ﷺ فعزله، كأنما دل عليه". [3]

بل ويذهب الفاروق ﷺ في تلك الشهادة مذهباً أعلى، ثقة بأخيه حذيفة ﷺ عدو المنافقين، فكان "إذا مات ميت، يسأل عن حذيفة ﷺ، فإن حضر الصلاة عليه، صلى عمر ، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر رضي الله عنهما". [4]

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر (٦٠٦/٦) نشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية ١٤٠٠هـ. وانظر: المرجع السابق (١٧٥/٢/١).

(٢) نقلاً عن: سير أعلام النبلاء (٣٦٣/٤) للحافظ الذهبي تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة.

(٣) نقلاً عن: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٦٨/١) مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق (٤٦٨/١).

ثانياً: شهادة علي بن أبي طالب ﷺ : فقد ذكرت الروايات بأن علياً سئل عن حذيفة رضي الله عنهما، فقال: "عَلِم المنافقين، وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً". [1]

ثالثاً: شهادة أبي الدرداء ﷺ: وكانت هذه الشهادة في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري قال: "ذهب علقمة إلى الشام، فلما دخل المسجد قال: اللهم يسر لي جليساً صالحاً. فجلس إلى أبي الدرداء ﷺ، فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة. قال: قلت: بلى...) الحديث.[2]

رابعاً: شهادة أبي هريرة ﷺ: ذكرت بعض الروايات أن أبا سبرة الجعفي قال: "أتيت المدينة، فسألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً، فيسر لي أبا هريرة ﷺ، فجلست إليه فقلت : إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فاستجاب لي، فقال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، جئت ألتمس العلم والخير، فقال: أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة، وعبد الله بن مسعود صاحب طهور رسول الله ﷺ ونعليه، وحذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ ". [3]

خامساً: شهادة جبير بن مطعم ﷺ: أخرج ابن سعد عن جبير بن مطعم أنه قال: " لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين حضروا ليلة العقبة إلا حذيفة ﷺ ، وهم اثنا عشر رجلاً، اثنان قرشيان، والباقي إما من الأنصار أو من حلفائهم". [4]

---

(١) سير أعلام النبلاء، (٣٦٣/٢) مرجع سابق، وعلق الأرناؤوط عليه في الهامش بقوله: رجاله ثقات.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عمار، وحذيفة رضي الله عنهما (٢٥٩/٤/٢) رقم الحديث ٣٧٤٣، مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن تهذيب تاريخ دمشق الكبير/ لابن عساكر (٩٩/٤ ، ١٠٠) مرجع سابق.

(٤) نقلاً عن المرجع السابق (١٠٠/٤).

المسلك الرابع:أقوال السلف الصالح عن تميز حذيفة ﷺ في علم الفتن :

كانت مزية حذيفة ﷺ في علم الفتن هي أيضاً حديث سلفنا الصالح حفاظاً ومحدثين ومؤرخين وغيرهم، وسوف أقوم بنقل وتسجيل ما قالوه في هذا الصدد على **النحو التالي:**

أولاً: قول الحافظ أبي نعيم الأصفهاني (ت : ٤٣٠هـــ): قال رحمه الله: "ومنهم العارف بالمحن وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقاه، وتحرى الخير فاقتناه.. أبو عبد الله حذيفة بن اليمان". (١)

ثانياً: قول الحافظ أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣) رحمه الله: قال : "كان صاحب سر رسول الله ﷺ لقربه منه، وثقته به، وعلو مترلته عنده". (٢)

ثالثاً: قول القاضي عياض (ت ٥٤٤هـــ) رحمه الله حيث يقول: "وإيداع النبي ﷺ لحذيفة من سر الفتن ما أودع مشهور في الأحاديث الصحاح ، وهو كان صاحب سرها، والاهتبال بالسؤال عنها". (٣)

رابعاً: قول العلامة الجزري، المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـــ): يقول – رحمه الله– "وحذيفة ﷺ صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحدٌ إلا حذيفة ﷺ، أعلمه بهم رسول الله ﷺ ". (٤)

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (١/٢٧٠) دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي (١/١٧٣) مرجع سابق.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم/ للقاضي عياض (٨/٤٢٨) دار الوفاء، دار الندوة العالمية.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير (١/ ٤٦٨) مرجع سابق.

خامساً: قول الإمام شمس الدين محمد بن أحمد، المعروف بالذهبي (ت ٧٤٨ هـ): يقول رحمه الله عن خبرة حذيفة ﷺ في الفتن: "من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر"[١] ويقول عنه في موضع آخر: "حذيفة ﷺ أحد أصحاب النبي ﷺ الأربعة عشر النجباء، كان النبي ﷺ أسر عليه بأسماء المنافقين، وحفظ عنه الفتن، التي تكون بين يدي الساعة".[٢]

سادساً: قول الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٣) -رحمه الله- حيث يقول: "أعلم ﷺ حذيفة ﷺ بأعيان أربعة عشر، أو خمسة عشر منافقاً".[٣]

سابعاً: قول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) : وشهادته رحمه الله، تمثلت في بيان كثرة ما رواه حذيفة ﷺ من أحاديث في الفتن، حيث يبين ذلك بقوله: "غالب الأحاديث المذكورة في هذا الباب من حديث حذيفة ﷺ وهلم جرًّا، يتعلق بإخباره ﷺ عن الأمور الآتية بعده، فوقعت على وفق ما أخبر به، واليسير منها ما وقع في زمانه".[٤]

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء/ للحافظ الذهبي (٢ /٣٦١) مرجع سابق.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ للحافظ الذهبي (عهد الخلفاء الراشدين / ص ٤٩٤) دار الكتاب العربي- بيروت/ ط. الثانية ١٤١٠هـ. مرجع سابق.

(٣) تفسير القرآن العظيم / للحافظ ابن كثير (١٤٣/٤) دار الشعب- القاهرة. والمصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير/ للحافظ ابن كثير (ص ٥٨٨) إشراف : الشيخ المباركفوري وجماعة من العلماء، دار السلام- الرياض، ط. الأولى ١٤٢٠هـ.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٦٠٧/٦). مرجع سابق.

المبحث الثاني: سبل النجاة من الفتن ،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة مختصرة عن الفتن :

لا يكاد يسلم أحد من التعرض للفتن، فهو يعايشها في حياته، وعند مماته، وفي قبره، ولكن كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ .(١)

وعلم من الأخبار النبوية أن بأس الأمة بينهم واقع، وأن الهرج لا يزال إلى يوم القيامة. (٢) وما دام الأمر كذلك فلا بد من معرفة حقيقة هذه الفتن، وبالنظرة السريعة إلى ما كتبه علماء هذه الأمة وأئمتها في تعريف الفتنة، تتبين الصورة الواضحة لها.

فالفتن: بكسر الفاء وفتح التاء، جمع فتنة، وجامع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء، والامتحان، والاختبار، وهي مأخوذة من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد (٣)، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ (٤) ثم استعملت عرفاً فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه وسوء، أو آيل إليه، كالكفر، والإثم والتحريق، والفضيحة، والفجور، واختلاف الناس بالأداء، والتأويل الظالم وغير ذلك، وباختصار شديد هي التحول عن حال حسنة إلى سيئة. (٥)

---

(١) سورة إبراهيم / الآية : ٢٧ .

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (١٣/٥٠) والفقه في الدين عصمة من الفتن (ص ٢٠) مرجعان سابقان.

(٣) انظر: معجم تهذيب اللغة / للأزهري (٣/٢٧٣٨) تحقيق: د. رياض قاسم، دار المعرفة- بيروت، ط. الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) سورة الذاريات / الآية: ١٢.

(٥) انظر: المرجع السابق (٣/٢٧٤٠) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٤٥١) وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم (١/ ٢/ ١٧٠ ، ١٧١)، وفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (١٣/ ٣). مراجع سابقة.

والفتن من الموضوعات الشائكة التي يكتنفها التداخل، وذلك لتنوعها، وكثرة دعاتها، وتعدد مداخلها.

فأنواعها متعددة ومتنوعة، كما ظهرت من خلال التعريف، وتكثر وتعظم وتتجدد في آخر الزمان... ودعاتها أيضاً كثيرون، وأكثرهم من بني جلدتنا كما بينهم الرسول ﷺ لحذيفة ﵁ بقوله: (قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا).[1]

وما زالوا يتدربون ويدربون لإضلال الناس، وعلى رأس هؤلاء الشيطان الرجيم، كما بينه تعالى في قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ .[2]

ومداخلها أيضاً كثيرة ومتعددة، لكن لها بابان رئيسان هما: باب الشبهات، وباب الشهوات.

والباب الأول: تدخل منه فتن البدع وما والاها، وهي أعظم الفتنتين.

والباب الثاني: تدخل منه فتن فسق الأعمال.

وإغلاق الباب الأول: يكون بالعلم والبصيرة واليقين، أما الباب الثاني: فيغلق بالصبر[3]، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذين البابين بقوله: " ولا تقع

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٦/٦١٥) حديث رقم ٣٦٠٦، مرجع سابق . وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٣/١٤٧٥) حديث رقم : ١٨٤٧، مرجع سابق.

(٢) جزء من آية في سورة الأعراف/ الآية ٢٧.

(٣) انظر: الفقه في الدين عصمة من الفتن (ص ٩، ١٥، ١٦، ٢٥) مرجع سابق. للاستزادة انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم (٣/٢٤٢- ٥١٣) لعبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة- الرياض ، ط. الثانية ١٤١٩ هـ.

فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر، فالفتنة: إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر". [١]

ويؤكد الإمام ابن القيم ذلك بقوله: والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد العقيدة، فهي الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى... وفتنة الشهوات من تقديم الهوى على العقل فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة. [٢]

والفتنة من الموضوعات الخطيرة التي ينبغي العناية بها لاتصالها بأهم وأخطر جزء في الإنسان، لاتصالها بالجزء الذي إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله. !!!! إنها تتصل بالقلب.

وفي بيان هذا يقول حذيفة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير، عوداً عودا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض. والآخر أسود مُرْباداً [٣]، كالكوز مُجَخّياً [٤]، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه). [٥]

---

(١) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩/١) تحقيق: د. محمد رشاد، مطبوعات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٣هـ .

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/ للإمام ابن القيم (١٦٥/٢) دار المعرفة- بيروت، توزيع دار الباز- مكة المكرمة.

(٣) مُرْباداً: الربدة لون بين السواد والغبرة، ويريد اربداد القلب من حيث المعنى لا الصورة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٣/٢) مرجع سابق.

(٤) كالكوز مُجَخّياً: المجخي هو: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء، المرجع السابق (٢٤٢/١). .

(٥) جزء من حديث في صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (١٢٨/١) حديث رقم ١٤٤ ، مرجع سابق.

فقوله ﷺ : (تعرض الفتن) معناه: أن الفتنة تلصق بجوانب القلب كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه، لشدة التصاقها به، وهذا يدل على شدة خطورتها على القلب، الأمر الذي ينبغي لنا الحذر منه، حتى لا تدخل القلب وتحل منه محل الشراب، حينئذ يصبح القلب منكوساً، مقلوباً، لا يعلق به خير ولا حكمة. [١]

وقد أشار حذيفة ﷺ إلى خطورة الفتن، من خلال بيان شمولها وعمومها لكل الطبقات الفاعلة في المجتمع، يقول ﷺ : "إن الفتنة وكلت بثلاث، بالحادِّ النِّحْرير[٢] الذي لا يرتفع له شيء إلا قمع بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيد. فأما هذان فتبطحهما لوجوههما، وأما السيد فتبحثه حتى تبلو ما عنده". [٣]

فالنحرير ويدخل تحته كل من ولي أمراً، والخطيب ويدخل تحته كل من ولي الدعوة والتعليم، والسيد ويدخل تحته كل سيد مطاع في قومه لجاهه وحسبه ونسبه.

وبين ﷺ أن من خطورة الفتن على العباد أن العقول تحار في إدراكها، يقول مبيناً ذلك: "ما الخمر صرفاً بأذهب بعقول الرجال من الفتنة". [٤]

ولأجل خطورة الفتن على الناس كان حذيفة ﷺ دائم التحذير منها، وما ذلك إلا أنه أدرك بحكمته الثاقبة أن معرفة الشيء تولد نوعاً من الحذر والتوقي،

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٥٢- ٤٥٥) وشرح النووي على صحيح الإمام مسلم (١/٢/١٧١-١٧٣).

(٢) بالحادِّ النحرير: هو الفطن البصير بكل شيء، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٦) مرجع سابق.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٧٤) مرجع سابق .

(٤) المرجع السابق (١/٢٧٤).

لهذا كان يقول: " إياكم ومواقف الفتن" [١] ويقول: " إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته، كما ينسف السيل الدمن [٢]" [٣] ويقول مبيناً شدتها على أديان الناس مع تقدم الزمان: " ثلاث فتن، والرابعة تسوقهم إلى الدجال، التي ترمى بالرضف، [٤] والتي ترمي بالنشف، [٥] والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر، والرابعة تسوقهم إلى الدجال". [٦]

ويقول محذراً منها: " والذي لا إله غيره إن الرجل ليصبح يبصر ببصره، ويمسى ما ينظر بشُفْر [٧]" [٨].

لكن مما يثلج الصدر أنه رغم كثرة الفتن وتنوع صورها وأشكالها، وتعدد مداخلها، وكثرة الدعاة إليها، إلا أن الحق موجود، وطرق النجاة متوفرة، وقد أشار ﷺ إلى إمكانية ذلك بقوله: (إن السعيد لمن جنب الفتن، قالها ثلاثاً). [٩]

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١/ ٢٧٧).

(٢) الدمن: جمع دمنة، وهي ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها، أي: تلبده في مرابضها، انظر: النهاية في غريب الحديث/ لابن الأثير (٢/١٣٤) دار الكتاب المصري- القاهرة.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٢٧٣) مرجع سابق.

(٤) الرضف: الحجارة المحماة على النار، أي من شدتها كأنها ترمي بالرضف، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٣١) مرجع سابق.

(٥) النشف: حجارة سوداء كأنها أحرقت بالنار، وهي التي تستعمل في حك الأرجل، المرجع السابق (٥/٥٩).

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٢٧٣).

(٧) بشُفْر: شفير كل شيء حرفه، والشفر بالفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٨٤ ، ٤٨٥) مرجع سابق.

(٨) نقلاً عن حلية الأولياء (١/٢٧٣) مرجع سابق، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه تحت رقم ٣٠٤١٢ (٦/١٦٩) مكتبة الرشد- الرياض، ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

(٩) رواه أبو داود في كتاب الفتن، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث رقم ٤٢٦٣، (ص ٦٤٣) طبعة دار ابن حزم- بيروت- ط. الأولى ١٤١٩هـ، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح، انظر: هامش جامع الأصول (١٠، ١٨) مرجع سابق.

ولما كان حذيفة ﷺ من أعلم الناس بأحاديث الفتن فإنه يقيناً سيكون أبصر الناس بالكيفية التي يمكن من خلالها مواجهتها للنجاة منها، لهذا سيكون المطلب القادم في بيان السبل التي وضحها حذيفة ﷺ للخلاص والنجاة من الفتن، سواء كانت من مروياته لأحاديث الرسول ﷺ أو من سيرته العطرة ﷺ.

المطلب الثاني : سبل النجاة من الفتن من خلال مرويات حذيفة وسيرته رضي الله تعالى عنه ، وفيه أحدَ عشرَ مسلكاً:

المسلك الأول: الاعتصام بالله واللجوء إليه :

إن من أهم أسباب النجاة من الفتن، وكشف البلاء، اللجوء إلى الله والاعتصام به سبحانه، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ .[1]

ويقول ﷺ: (تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها، وما بطن). [2]

وبلا شك، فإن خير وسيلة هي اللجوء إليه سبحانه وتعالى، ولا يعجز أحد عنه وهو استخدام سلاح الدعاء، فعلى المسلم أن يُلح على الله سبحانه وتعالى، ويكثر من الدعاء في هذه المواطن. ويؤكد حذيفة ﷺ هذا بقوله: (كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى).[3]ويقول أيضاً: "ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء الغريق".[4]

---

(١) سورة الأعراف، الآية/ ٩٤.

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت (٤/٢٢٠٠) حديث رقم ٢٨٦٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢/٣٥) رقم الحديث ١٣١٩، طبعة دار الفكر، وفي مسند الإمام أحمد (٥/٣٨٨) رقم الحديث ٢٣٣٤٧، مؤسسة قرطبة- مصر. وكذلك في شعب الإيمان / للحافظ البيهقي (٣/١٥٤) حديث رقم ٣١٨، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٤١٠هـ. وعلق عليه الأرناؤوط في هامش جامع الأصول بقوله: رواه أبو داود، والإمام أحمد في مسنده، وإسناده ضعيف (٩/٣٩٥). وضعف الإسناد لا يعني ضعف المتن، لوجود شاهد صحيح بمعناه يقويه وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (كانوا إذا فَزِعوا، فَزِعوا إلى الصلاة، يعني : الأنبياء) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة الألباني (ص ١٢٩) رقم الحديث ٧١٢، مرجع سابق.

(٤) رواه الحاكم في مستدركه برقم ١٨٦٩ (١/٦٨٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه- طبعة دار الكتب العلمية- بيروت-ط. الأولى ١٤١١هـ، وجاء ذكره في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ للحافظ

"فعلى الإنسان أن لا يغفل عن الدعاء، خصوصاً عند طلب النجاة من الفتن، لأنه إذا سلم من الفتن، فإنه يسلم من كل شيء، وإذا سلم من الفتن سلم دينه، وإذا سلم دينه سلمت عاقبته" [١] ولهذا نرى حذيفة ﷺ حريصاً على الاستعاذة من الفتن حتى في اللحظات الأخيرة لحياته، وفي بيان ذلك يقول العبسي: "سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنهما في نفر أنا فيهم إلى المدائن، فأتيناه في بعض الليل، فقال: أي ساعة من الليل الآن قلنا: جوف الليل. فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار" [٢] وفي رواية أخرى قال: "اللهم إنك تعلم لولا أني أرى هذا اليوم أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا لم أتكلم بما أتكلم به، اللهم إنك تعلم لولا أني كنت أختار الفقر على الغنى، وأختار الذلة على العز، وأختار الموت على الحياة، مرحباً بالموت، وأهلاً بحبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. اللهم، إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لسهر الليل، وظمأ الهواجر، وكثرة الركوع والسجود والذكر، والجهاد في سبيل الله، ومزاحمة العلماء بالركب" [٣] وفي رواية عند أبي نعيم قال: "لما حضر حذيفة ﷺ الموت قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، أحمد الله الذي سبق بي الفتنة، قادتها، وعُلُوجها[٤]". [٥]

أبي نعيم الأصفهاني (٢٧٤/١) مرجع سابق. وذكره العلامة الكاندهلوي في: حياة الصحابة (٤٥٧/٣) مراجعة الشيخ: هشام البخاري المكتبة العصرية- صيدا.

(١) الفتنة في الدين عصمة من الفتن/ الشيخ صالح الفوزان (ص ٢٥) مرجع سابق.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٥/٤) مرجع سابق.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٦/٤) مرجع سابق.

(٤) عُلُوجها: مفردها علج، وتجمع على أعلاج وعلوج، والعِلْج هو الرجل القوي الضخم ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨٦/٣) مرجع سابق.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٢/١) مرجع سابق.

المسلك الثاني: العلم بالشرع والفقه بالدين :

ذلك لأن الجهل بأمور الدين بوابة كبيرة للولوج إلى الفتن،يقول حذيفة ﷺ "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل". (١)

وسبيل ذلك يبينه ﷺ من حديث الرسول ﷺ حيث يقول: (حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة..) الحديث. (٢)

ويعلق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث بقوله: "فيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ ، واجباً أو مندوباً". (٣)

وهذا المعنى أيضاً وضحه حذيفة ﷺ من خلال حواره مع الرسول ﷺ، لما سأله: (يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هَدْيي، تعرف منهم وتنكر...) الحديث. (٤)

ويوضح العلامة ابن أبي جمرة هذا المعنى من خلال هذا الحديث بقوله: وفيه دليل على أن كل هدى أو علم إنما معياره وما يختبر به، ما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة، فالذي يكون على ذلك بلا زيادة ولا نقصان فهو

---

(١) نقلاً عن فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (١٣/٤٩) مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس (١٣/٣٨) حديث رقم ٧٠٨٦ ، مرجع سابق.

(٣) فتح الباري (١٣/٣٩) مرجع سابق.

(٤) سبق تخريجه .

طريق الحق، والمبلغ إلى الله عز وجل. وأن لا يكون من أحد القسمين: القسم الذي فيه الدخن، وقسم الذين على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة السلام: (وفيه دخن) ثم فسر ذلك الدخن بكونهم يهدون بغير هديـــــه ﷺ.

فاحذر هدي قوم جعلوا للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلوا الكتاب والسنة له فرعاً لقد عم دخنهم الأرض، حتى تناهى فيه قوم، فوقفوا به على باب جهنم، فمن أجابهم إليها قذفوه فيها. [1]

ذلك لأن العلم الحق يولد الخشية من الله، وفي ذلك يقول حذيفة رضي الله عنه : "بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عز وجل" [2] والخشية من الله تولد الحياء منه سبحانه، وفي الحياء حياة القلوب، ومعلوم أن صاحب القلب الحي، هو صاحب البصيرة، الذي يعرف الفتن وينكرها، وهذا مصداق قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه والذي جاء فيه: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء). [3]

وقد تبين أهمية العلم والفقه في الدين من خلال هذا الحديث بقول بعض أهل العلم: إن الفتن هذه تعرض على قلوب الناس، فالقلب الذي ينكرها هو القلب الفقيه المتفقه في كتاب الله عز وجل، الذي يعرف حكم الله في هذه

---

(١) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها مختصر شرح صحيح الإمام البخاري/ للمحـــدث عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (٢/٤/٢٦٣) دار الكتب العلمية-بيروت.

(٢) نقلاً عن: تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٣/٤).

(٣) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبـــاً، (١٢٨/١) حديث رقم ١٤٤، مرجع سابق.

الأمور. أما الجاهل فقد تنطلي عليه، وقد يعجب بها ويعتبرها من الحضارة والرقي، وأن الابتعاد عنها يعتبر من الجفاء والجلافة، والحق إنه لا عاصم من هذه الفتن إلا ما جعله الله سبحانه وتعالى عاصماً منها، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. [1]

ولهذا فقد كان حذيفة رضي الله عنه شديد الحرص على الرجوع إلى الرسول ﷺ، وسؤاله عن أمور الفتن، فكان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني" [2] وكان يقول أيضاً : " أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة". [3]

المسلك الثالث: لزوم جماعة المسلمين ونبذ الفرقة :

مما لا شك فيه أن من أعظم الفتن فتنة التفرق والاختلاف، وذلك لأنها مدعاة لظهور الفرق والجماعات [4] التي تضعف الأمة، وتتسبب في موتها وإبادتها. فالجماعة رحمة، والفرقة عذاب. [5]

وقد لخص شيخ الإسلام فائدة الاجتماع ونتيجته في الدنيا والآخرة بقوله: سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له باطناً وظاهراً، ونتيجته رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجه.

---

(١) انظر: الفقه في الدين عصمة من الفتن (ص ١٦) مرجع سابق.

(٢) سبق تخريجه من صحيح الإمام البخاري ومسلم .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن حديث رقم (٢٨٩١) وسبق تخريجه.

(٤) انظر: الفقه في الدين عصمة من الفتن (ص ١٢) مرجع سابق.

(٥) إشارة إلى حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢٧٨/٤) مؤسسة قرطبة- مصر. وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٧٦/٢) حديث رقم ٦٦٧، طبعة المكتب الإسلامي – بيروت- دمشق- ط. الرابعة ١٤٠٥هـ.

وسبب الفرقة ترك حظ مما أمر العبد به ونتيجته عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجه، وبراءة الرسول ﷺ منهم. [١]

ولزوم الجماعة منهج ظاهر بين في سيرة خبير الفتن حذيفة ، حيث إنه كان يكره الاختلاف، ويفزعه وجوده في صفوف المسلمين، ورواية الإمام البخاري في قصة جمع القرآن زمن الخليفة عثمان تؤكد ذلك، حيث جاء فيها "فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما، يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".[٢] وكان يقول: "والله ما فارق رجل الجماعة شبراً إلا فارق الإسلام".[٣]

والمواقف التي تدل على بغض حذيفة للاختلاف كثيرة[٤]، وهذا يدل على أهمية الاجتماع والوحدة، والائتلاف في النجاة من قواصم الفتن والشرور.

وملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن منهج تعلمه حذيفة وحفظه من خير البرية محمد ﷺ، ومما يدل على ذلك حديثه المشهور في السؤال عن الشر، وشدة الفتنة على الأمة المسلمة آخر الزمان، حتى يؤول أمرها إلى ولاية فاسدة، وصفها الرسول ﷺ بأنهم (دعاة على أبواب جهنم) يقول العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعون إلى بدعة أو ضلالة، أو أئمة الجور، الذين هم على غير الحق.[٥]

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١٧/١)، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم، إشراف: وزارة الشؤون الإسلامية. المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ.

(٢) جزء من حديث في صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (١٢٠/٦/٣) حديث رقم ٤٩٨٧، دار الفكر.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٠/١) مرجع سابق.

(٤) انظر عل سبيل المثال: المرجع السابق (٢٧٩/١) وتهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٥/٤) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (ص ٥٠٩) مراجع سابقة.

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم (٢٣٧/١٢/٤) وفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٣٦،٣٧/١٣).

فتعجب حذيفة ﷺ منهم وقال: (فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم).(١)

ولقد طبق هذا المنهج فعلاً، ولهذا نراه ﷺ يشدد في النكير على ذلك الرجل لما سأله حذيفةُ: "أيسرك أنك قتلت أفجر الناس؟ قال الرجل: نعم، قال: إذاً تكون أفجر منه".(٢)

وكان ﷺ شديد التوخي والحذر من اختلاف الصف، وتفرق الكلمة، فكان يكره الخروج على ولاة الأمر الذين فيهم نوع فسق، وقد بين أن ذلك هو منهج الصحابة أجمع ﷺ، فكان يقول: "ما أدرك هذا الأمر أحد من أصحاب النبي ﷺ ، إلا وقد اشترى بعض دينه ببعض، قالوا: فأنت؟، قال: وأنا، والله إني لأدخل على أحدهم، وليس من أحد إلا وفيه محاسن ومساوئ، فأذكر من محاسنه، وأعرض عما سوى ذلك، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء فأقول: إني صائم ولست بصائم". (٣)

وللتنفير من الاختلاف بين ﷺ أن الاختلاف سمة بارزة عند اليهود والنصارى، وذلك من خلال بيان اختلاف اجتهادهم مع أنبيائهم في يوم الجمعة، فكانت النتيجة أن الله لم يهدهم ليوم الجمعة، وهدى هذه الأمة إليه ففازوا بفضيلته(٤) وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه حذيفة ﷺ. قال: قال

---

(١) من رواية للإمامين البخاري ومسلم، وسبق تخريجه .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٠/١) مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ص ٥٠٩)، وانظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٥/٤) مرجعان سابقان.

(٤) أنظر: إكمال المعلم بشرح فوائد مسلم (٢٥٠/٣) مرجع سابق.

رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة ..) الحديث. [1]

المسلك الرابع:إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن ظهور المنكرات، وانتشار الفساد، من أعظم الفتن، ومواجهة هذا الفساد بالقول أو الفعل أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، من أعظم الأسباب المنجية من الفتن وغوائلها، ذلك لأن معظم الفتن إنما تنشأ من تعطيل هذه الشعيرة العظيمة، التي هي صمام الأمان من الشرور والفتن، للمجتمعات والأفراد.

بل إن القيام بهذه الشعيرة يعد من أكبر الأسباب الواقية من الفتن قبل وقوعها، والمنجية منها حين وقوعها. [2] وإن التساهل في هذه الشعيرة يؤدي إلى مقت الله، وسيطرة الشرور والفتن، ثم الهلاك والإهلاك.

وهذه المعاني بينها حذيفة ﷺ في أحاديث كثيرة، أظهر فيها أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلى سبيل المثال يقول رضي الله عنه : "لعن الله من ليس منا [3]، والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو لتقتتلن

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢/٥٨٦) حديث رقم ٨٥٦ ، مرجع سابق.

(٢) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم / لعبد العزيز الجليل (٣/٥٤٧، ٥٤٨) مرجع سابق.

(٣) اللعن هنا من باب اللعن بالأوصاف العامة مثل: لعنة الله على الظالمين، أو الفاسقين، أو الكافرين، وغير ذلك من أوصاف العموم، وهو جائز بلا خلاف، لأن الله سبحانه قد لعن الفاسقين والظالمين بدون تعيين، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم لعن السارق، والراشي بدون تعيين أحد، وقد

بينكم، فليظهرن شراركم على خياركم، فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ثم تدعون الله عز وجل، فلا يجيبكم بمقتكم". [(١)]
بل سئل عن ميت الأحياء قال : "هو الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه، ولا بقلبه". [(٢)]

ولقد بين ﷺ دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عملية التكفير من الفتن والخطايا من خلال قول النبي ﷺ: (فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). [(٣)]

وقد نبه بعض أهل العلم على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشموله في النجاة من الفتن بشكل عام من خلال حديث حذيفة ﷺ هذا بقولهم: وهذا التكفير لا يشمل الفتن المذكورات، بل نبه بها على ما عداها، والضابط في ذلك: أن كل ما يشغل صاحبه عن الله فهو فتنة له، وكذلك هذه المكفرات لا تختص بما ذكر، بل نبه بها على ما عداها، فذكر من عبادة الأفعال الصلاة، ومن عبادة المال الصدقة، ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [(٤)]، وهذا يدل على شمول هذه الشعيرة في النجاة من الفتن المتنوعة.

نقل الإجماع على جواز ذلك ابن العربي، وابن حجر الهيتمي، انظر: الملعونون في السنة الصحيحة، د. باسم الجوابرة، من منشورات وزارة الشؤون الإسلامية ١٤٢٢هـ .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٢٧٩) ، وذكره العلامة الكاندهلوي في حياة الصحابة (٢/٥٦٣)، وقال: أخرج ابن أبي شيبة نحوه، انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/٤٦٠) حديث رقم ٣٧٢٢١، مراجع سابقة.

(٢) نقلاً عن: تهذيب تاريخ دمشق الكبير (٤/١٠٤) مرجع سابق. وذكر نحوه مطولاً الحافظ أبو نعيم في الحلية (١/١٧٤، ١٧٥).

(٣) رواية للإمامين البخاري ومسلم، وسبق تخريجها .

(٤) انظر: بهجة النفوس شرح مختصر صحيح الإمام البخاري (١/١٩٩، ٢٠٠) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٦٠٥، ٦٠٦).

و لم يكتف حذيفة ﷺ بتعريف الناس بأهمية هذه الشعيرة، بل قام هو نفسه بالأمر والنهي، فعلى سبيل المثال: ما ذكره همام بن الحارث قال: "كنا جلوسا مع حذيفة ﷺ في المسجد، فجاء رجل حتى جلس إلينا، فقيل لحذيفة ﷺ: إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة، إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل الجنة قتات). [١]

. ومما يدل أيضاً على اهتمامه الفعلي بالأمر والنهي ما ذكره يزيد النخعي قال: "إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة، فسمع رجلاً يقول: قراءة عبدالله بن مسعود، وسمع آخر يقول : قراءة أبي موسى الأشعري، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هكذا كان من قبلكم، اختلفوا، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين" . [٢]

بل إن المناصب لم تشغل حذيفة ﷺ عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فها هو ذا أميراً في الكوفه يأمر وينهى، والروايات في ذلك كثيرة فعلى سبيل المثال: ما ذكره أبو عبدالرحمن السلمي، قال: "انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن، وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان ﷺ على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى، ثم قال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [٣]، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق". [٤]

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، (١/١٠١) حديث رقم ١٠٥، مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٩/ ٢٣) دار السلام - الرياض، دار الضياء- دمشق، ط. الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) سورة القمر / الآية : ١ .

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٨١) مرجع سابق، وفيه زيادة أمثلة.

المسلك الخامس: اعتزال الفتن وأهلها [١]:

إن الأصل في باب الفتن هو: لزوم الجماعة، لكن في أحوال معينة يشرع اعتزال الفتن وأهلها، وذلك عند اختلاف المسلمين، وتفرق كلمتهم، واقتتالهم، ولا إمام يجمعهم، فهنا ينبغي التوقف والاعتزال باللسان والقلب والبدن[٢] حتى تنجلي الفتنة، وهذا ما وجه الرسول ﷺ حذيفة إليه عند شدة الفتن، يوضح حذيفة رضي الله عنه ذلك بقوله: قلت للرسول ﷺ: (فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). [٣]

ويوضح العلامة ابن أبي جمرة هذا المعنى من خلال هذا الحديث بقوله: وفي الحديث بحث، وهو أنه إذا كان واحداً لأحد الطرفين: إما جماعة على الخير ولا إمام معهم، أو إمام على خير ولا جماعة له، فالبقاء مع أحدهما خير من الانفراد، لأنه أعون على الدين، ولفظ الحديث يدل على ذلك، فإن الأمر بأن تتبع الجماعة والإمام لا ينفي إذا لم يجد إلا الواحد منهما أن لا يتبعه، غير أنه يأخذ أولاً الأكمل فالأكمل، فإذا كانا في موضع مجتمعين، وكان في موضع آخر أحدهما، فحيث جمعهما أولى، فإن لم يجد إلا أحدهما فهو خير من "أصل الشجرة"، فإن تلك هي الغاية في الهروب والاحتياط للدين. ففقه الموضع أن يكون صلاح الدين هو المعول عليه، ويكون الصلاح على مقتضى الكتاب

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم (ص ٥٧٤) مرجع سابق.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني (ص ٣٣٧) تحقيق: محمد خليل، دار المعرفة – بيروت، ط. الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) جزء من حديث رواه الإمامان البخاري ومسلم، وسبق تخريجه .

والسنة، فإن قدر على الاجتماع بإخوانه المسلمين والإمام، أو بأحدهما إن أمكنه ذلك مع الإقامة مع الأهل فحسن، وإن لم يكن ذلك وأمكنه الجلوس في العمارة منفرداً فحسن أيضاً، وإلا فالبرية على هذه الحالة الموصوفة في الحديث. (١)

ويؤكد الإمام الطبري هذا المعنى بقوله: "وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزاباً، فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خشية من الوقوع في الشر. (٢)

إذاً فمن أراد السلامة والعاقبة المحمودة من الفتن، فليمسك عنها، وقد نقل عن شيخ الإسلام ما يفيد في هذا الصدد، يقول رحمه الله: "ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه والإمساك عنها من المأمور به". (٣)

ولهذا نرى حذيفة ﷺ يثني على محمد بن مسلمة - رحمه الله - اعتزاله الناس في فتنة مقتل عثمان ﷺ، فعن ثعلبة بن ضبيعة قال: "دخلنا على حذيفة ﷺ فقال: "إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً، قلنا: من هو؟ قال: صاحب ذلك الفسطاط، قال: فخرجنا، فإذا فسطاط مضروب، فدخلنا شيء، فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك، فقال: ما أريد أن يشتمل علي شيء من أمصاركم حتى تنجلي عما انجلت". (٤)

---

(١) انظر: بهجة النفوس شرح مختصر صحيح الإمام البخاري (٢/٤/٢٦٥) مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (١٣/٣٧) .

(٣) منهاج السنة النبوية/ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٤/٤١٠)، تحقيق: د. محمد رشاد، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ.

(٤) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة (٤/٢١٦) حديث رقم (٤٦٦٣) (٤٦٦٤) دار الحديث- القاهرة ، وقال الأرناؤوط في جامع الأصول (١٠/١٧)، هو حديث صحيح، مرجع سابق.

ويشير ﷺ إلى وقوع ذلك الاعتزال في جمع كبير في خير القرون بقوله: (كنا مع رسول الله ﷺ، فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟ قال: فقلنا يا رسول الله ﷺأتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا. قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً)[1]. ويعلق بعض أهل العلم على لفظ (فابتلينا) بقولهم: "هذا قول حذيفة ﷺ، ويشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان ﷺ من ولاية بعض أمراء الكوفة، كالوليد بن عقبة، حيث كان يؤخر الصلاة ولا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً، ثم يصلي معه خشية وقوع فتنة ". [2]

ويأمر ﷺالناس صراحة باعتزال الفتن وأهلها، فهاهو يقول: "إياكم والفتن لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن. إنها مشبهة مقبلة، حتى يقول الجاهل: هذه تشبه، وتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، واكسروا سيوفكم". [3]

وكان ﷺ يتمنى العزلة الإيمانية، ليتفرغ للعبادة في جو بعيد عن الفتن، فيقول: "لوددت لو أن لي من يصلح لي مالي، فأغلق عليَّ بابي، فلا يدخل علي أحد، حتى ألحق بالله عز وجل". [4]

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الاستسرار بالإيمان للخائف (١٣١/١) حديث رقم ١٤٩ مرجع سابق.

(٢) نقلاً عن: هامش إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٦٠/١) مرجع سابق.

(٣) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء (٢٧٣/١) مرجع سابق.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٤/٤) مرجع سابق.

المسلك السادس:إمساك اللسان عما يشعل الفتن وإن كان حقاً :

فاللسان هو أساس الفتن، ووقودها المشعلة، والمقصود من هذا، أنه في وقت الفتن ليس كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال في كل الأحوال يقال حين الفتنة، بل لابد من إمساك اللسان، وضبط للأقوال.

ذلك لأن الناس لا يتصورون كل كلام يقوله قائله، ولا يدركونه على حقيقته، خاصة في أمور الفتن، فيفهمون الأشياء فهماً قاصراً، ويبنون عليها اعتقادات وأحوالاً وأعمالاً، ويتصرفون تصرفات خاطئة، أو محرمة، تكون عاقبتها سيئة.

ولهذا كان السلف الصالح إذا أحبوا السلامة في الفتن سكتوا عن أشياء كثيرة، وإن كانت حقاً، طلباً للسلامة في دينهم، ولأجل أن يلقوا الله سالمين.[1] وفي تأكيد هذا عقد الإمام الشاطبي في موافقاته فصلاً: أطلق عليه "فصل: ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره" ووضح فيه: أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة، ومما يفيد علماً بالأحكام، خاصة إذا تعلق بإثارة فتنة، فيكون من تلك الجهة ممنوعاً بثه. [2]
وكان هذا هو منهج حذيفة ﷺ في قوله: "لوحدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم، قال : ففطن له شاب، فقال : من يصدقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا ؟ فقال: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. قال: فقيل، ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنه من اعترف بالشر وقع في الخير". [3]

---

(١) انظر: الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن (ص ٣٨، ٣٩، ٤١) مرجع سابق.

(٢) انظر: الموافقات في أصول الشريعة/ للإمام أبي إسحاق الشاطبي (٤/١١٤) المكتبة العصرية- صيدا، ط. الأولى ١٤٢٣هـ.

(٣) نقلاً عن: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٥٠٧). وانظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير (٤/١٠٤،١٠٣) مراجع سابقة.

وقال أيضاً: "لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغترف، فحدثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل !".[1]

من هذه الروايات يظهر لنا أن حذيفة رضي الله عنه كتم بعض الأحاديث، وأمسك في الحديث عنها، رغم أنها أحاديث رسول الله ﷺ!! والسبب في ذلك، أنه رأى من الصلاح ألا يذيعها لأن مفسدة إذاعتها أكبر من كتمها في جر الفتن، خاصة فيما أسرّ له به النبي ﷺ مما لم يحدث غيره.[2]

وقد طبق هذا المنهج بفعله مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما سأله عن الفتن الشديدة التي تموج كموج البحر، فرد حذيفة رضي الله عنه بقوله كما جاء في رواية الإمام البخاري: "يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقاً".[3] قال أهل العلم: الباب المغلق عن دخول الفتن هو عمر رضي الله تعالى عنه، وكسره هو : قتله، وحذيفة رضي الله عنه لم يقل له: أنت الباب، وهو يعلم أنه هو، وذلك من حسن أدبه وحكمته، فكره أن يخاطب عمر رضي الله عنه بالقتل وآثر كتم ذلك، وكأنه كان مأذونا له في مثل ذلك.[4]

المسلك السابع: البحث والتفتيش عن مواطن الفتن في النفس :

إن الشعور بخطورة الفتن التي تحيط بالإنسان أمر محمود، ومطلوب، لكن ينبغي للإنسان أن يتبصر في أحوال نفسه، فلا ينسى في زحمة الفتن الخارجية نفسه التي بين جنبيه، فقد يكون متلبساً ببعضها وهو لا يشعر بذلك.

---

(١) نقلاً عن: المرجعين السابقين (٥/٥٠٧) (٤/١٠٤).

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٤٢٨) ، والضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن (٣٩، ٤٠)مراجع سابقة.

(٣) جزء من رواية في صحيح الإمامين البخاري ومسلم، وسبق تخريجها .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح الإمام مسلم (١/٢/١٧٥)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٤٥٥). وفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٦/٦٠٦) مراجع سابقة.

فينبغي هنا أن يقف ويتعهد نفسه ويحاسبها بل ويعرضها على أطباء القلوب، أهل الخير والصلاح، من علماء الأمة وأئمتها، لأن الخير دائماً يبدأ بالنفس ومن النفس.

وهذا الطريق من أهم الطرق التي كان يحرص عليها حذيفة ﷺ، نلمح هذا في حديثه المشهور، وسؤاله عن الشر، حيث جاء فيه: (يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه ؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: نعم ، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟). [١]

ويعلق بعض أهل العلم على بعض فوائد هذا الحديث بقولهم: " وفيه دليل على أن أهم ما على المرء في الدين نفسه، يؤخذ ذلك من قول حذيفة ﷺ: "فما تأمرني إن أدركني ذلك ". [٢]

وهذا المنهج بينه ﷺ لما ذهب إلى الرسول ﷺ يشكوه علة في لسانه، ليبحث عن علاج، يقول ﷺ : (أتيت النبي ﷺفقلت: يا رسول الله، إن لي لساناً ذَرِباً [٣]على أهلي، قد خشيت أن يدخلني النار؟ قال: فأين أنت من الاستغفار، إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة). [٤]

---

(١) رواية للإمام البخاري وسبق تخريجها .

(٢) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح الإمام البخاري (٢/٤/٢٦٤) مرجع سابق.

(٣) لساناً ذَرِباً : أي حاداً لا يبالي ما قال، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٦/٢) مرجع سابق.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٧٦/١) مرجع سابق، والشطر الأخير من الحديث وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) له شاهد

المسلك الثامن: الزهد في الدنيا :

يعايش الإنسان الفتن ليل نهار، وخاصة في هذا الزمان، حيث تكون المعايشة أشد وأكثر، لقرب هذا الزمان من الساعة وأماراتها، وباب الشهوات هو المدخل الكبير الذي تدخل منه أكثر الفتن إلى قلب المسلم، وهذا إنما ينشأ من التعلق بالدنيا وزينتها، مما يجعل المرء يؤثر الدنيا على الآخرة، فينساق وراءها، يترك الأوامر، ويبحر في معاصي الله ورسوله، ويطيع الشيطان وأعوانه (١) وهذه الحالة وصفها الرسول ﷺ بقوله: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا) . (٢)

ولذا فإن أعظم ما يسد به هذا الباب هو الزهد في الدنيا، لأنه كلما قوي هذا الجانب في قلب العبد، كان أبعد عن الشهوات التي هي باب خطير من أبواب الفتن، بل وأصل كبير من أصول الشر والمعاصي.

ومما لا شك فيه أن خبرة حذيفة ﷺ بالفتن، أثرت على حياته تأثيراً كبيراً، لأنه عرف أن مقاومة هذه الفتن تحتاج إلى زهد في الدنيا وملذاتها، فكان يكره بهارج الدنيا، بل حتى ضروراتها الأساسية زهداً منه، لذا كان يقول: " ما من يوم أقر لعيني، ولا أحب لنفسي، من يوم آتي أهلي فلا أجد عندهم طعاماً،

صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٠٧٥/٤) حديث رقم ٢٧٠٢ مرجع سابق.

(١) انظر: الفقه في الدين عصمة من الفتن (ص ١٩) ووقفات تربوية في ضوء القرآن (٥٤٩/٣) مرجعان سابقان.

(٢)صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٠/١) حديث رقم ١١٨، مرجع سابق.

ويقولون : ما تقدر على قليل ولا كثير، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله تعالى أشد حمية للمؤمن من الدنيا من المريض أهله الطعام، والله تعالى أشد تعاهداً للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير[١]).[٢]

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لحسن ظنه بحذيفة ﷺ، ويقينه الأكيد بإخلاصه، يحرص على توليته إمارة الكوفة، ويطلب ممن هناك إعطاءه صلاحية مطلقة، على عكس ما كان يفعله مع غيره من ولاته، وفي بيان ذلك يقول محمد بن سيرين: "كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عهده: وقد بعثت فلاناً وأمرته بكذا، فلما استعمل حذيفة ﷺ على المدائن كتب عهده: أن اسمعوا له، وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم". [٣]

وفي رواية أخرى، قالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقوه، فلقوه على بغل تحته إكاف [٤] وهو معترض عليه، رجلاه من جانب واحد ، فلم يعرفوه- للحالة التي كان عليها من التقشف- فأجازوه ، فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير، فقالوا: هو الذي لقيتم، قال: فركضوا في أثره، فأدركوه، وفي يده رغيف، وفي الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم، فناوله العرق والرغيف، قال: فلم غفل القاه، أو قال: أعطاه خادمه". [٥]

---

(١) أخرج نحوه الإمام البيهقي في شعب الإيمان باب الزهد وقصر الأمل (٣٢٢/٧) حديث رقم ١٠٥٥١ دار الكتب العلمية – بيروت. وكذلك أخرجه الإمام أحمد في المسند بإسناد آخر (١٧/ ٥٧ ، ٥٨) حديث رقم (٢٣٥١٣) (٢٣٥١٨) ، وقال محققه: إسناده صحيح، وقال عنه الإمامان الهيثمي والمنذري: رجاله ثقات، دار الحديث- القاهرة، ط. الأولى ١٤١٦هـ .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٧٧/١) وانظر: تهذيب تاريخ دمشق (١٠٣/٤) مرجعان سابقان.

(٣) نقلاً عن: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٦٩/١) مرجع سابق.

(٤) إكاف: بالكسر برذعة الحمار. انظر: البستان، معجم لغوي مطول (ص ٢٤) للعلامة البستاني، مكتبة لبنان، ط. الأولى ١٩٩٢م.

(٥) نقلاً عن: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٥٠٦) وانظر: نحوه في حلية الأولياء (٢٧٧/١) وفي تاريخ بغداد (١٦٢/١) والمنتظم في تاريخ الملوك الامم (١٠٥/٥) مراجع سابقة.

وقد بينت بعض الروايات أنه لما قدم المدائن، استقبله أهل الأرض والدهاقين، [١] وقرأ عهده عليهم، فقالوا سلنا ما شئت؟ فكان المفترض وعلى أقل تقدير أن يطلب مسكناً، ومركباً، وحياة بسيطة تليق بالأمير !! لكن لخوفه من فتن الدنيا كان طلبه محدوداً ومحصوراً بما يسد رمقه فقط، ليعيش حياة الزهد التي اتخذها لنفسه، وتكملة الرواية توضح ذلك: "فقال: أسألكم طعاماً آكله، وعلف حماري، هذا ما دمت فيكم، مرتين ".

فهل أثرت عليه المناصب بعد ذلك؟ تكملة الرواية ترد على ذلك: " فأقام فيهم ماشاء الله ثم كتب إليه عمر أن اقدم، فلما بلغ عمر ﷺ قدومه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحالة التي خرج من عنده عليها أتاه فأكرمه[٢] وقال له: أنت أخي ، وأنا أخوك". [٣]

أيضاً، ومما يدل على زهده في شهوات الدنيا، ما رواه الإمام البخاري قال: "إن عمر ﷺ قال لأصحابه: تمنوا: فتمنوا الدراهم، والذهب، والجواهر لإنفاقها في سبيل الله، فقال عمر ﷺ: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فاستعملهم في طاعة الله، قال: ثم بعث بمال إلى أبي عبيدة ﷺ ، وقال: انظر ما يصنع، فلما أتاه قسمه قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة ﷺ ، قال: انظر ماذا يصنع، فلما أتاه قسمه. فقال: عمر ﷺ قد قلت لكم، أو كما قال". [٤]

---

(١) الدهاق: رئيس القرية، هامش أسد الغابة (٤٦٩/١) مرجع سابق.

(٢) وعند الإمام الذهبي" أتاه فالتزمه" انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٢) مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن: تهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٣/٤) مرجع سابق.

(٤) نقلاً عن: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥٠٥/٥) مرجع سابق.

ولما علم ﷺ أن علاج فتنة الشهوات والأهواء إنما تكون باليقين الجازم بالرجوع إلى الله، والوقوف بين يديه سبحانه، وتذكر الموت، بادر بشراء كفنه قبل موته، زاهداً في ذلك أيضاً، يقول صلة بن زفر: " إن حذيفة بعثني وأبا مسعود ﷺ، فابتعنا له كفناً حله عصب، بثلثمائة درهم. فقال: أرياني ما ابتعتما لي، فأريناه. فقال: ما هذا لي بكفن!! إنما يكفيني ريطتان بيضاوان، ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلا قليلاً حتى أبدل خيراً منهما أو شراً منهما، فابتعنا له ريطتين بيضاوين". [(١)]

المسلك التاسع: الرفق والحلم والأناة :

الرفق والحلم والأناة صفات مطلوبة في الأحوال الاعتيادية، ويزداد طلبها في أيام الفتن، حيث تكثر الآراء وتضطرب الأمور، فإذا لم يكن هناك رفق وأناة فإن اشتعال الفتن أمرها أكيد، والمطلوب السلامة حينئذ، حتى يأتي الله بالمخرج والفرج.

وقد ضرب لنا حذيفة ﷺ أروع الأمثلة في الرفق والحلم مع قتلة أبيه في غزوة أحد ، حين رأى بأم عينيه سيوف المسلمين تنهش أباه، وهم لا يعلمون أنه "حسيل" والد حذيفة ﷺ، ذلك لأن الرسول ﷺ تركه مع النساء والصبيان، فلما رغب في الشهادة أخذ سيفه ولحق بالمسلمين بعد الهزيمة، فلم يعرف المسلمون به، ووقع المقدور، تحكي عائشة رضي الله عنها الموقف بقولها: "ولما كان يوم أحد، هُزِمَ المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله، أخراكم، فرجعت أولاهم على أخراهم، فاجتلدت مع أخراهم، فنظر حذيفة

---

(١) نقلاً عن: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٣/١) وانظر نحوه: في سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٢) مرجعان سابقان.

ﷺ فإذا هو بأبيه، فنادى: أي عباد الله: أبي، أبي، فقالت: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: غفر الله لكم". [١]

و لم يكتف بذلك ﷺ بل ذكرت بعض الروايات أن حذيفة ﷺ لما قال للصحابة: " قتلتم أبي؟ قالوا: والله ما عرفناه ، وصدقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يديه، فتصدق حذيفة ﷺ بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً ". [٢]

ومما يدل على منهجه هذا ، حلمه على الرجل الذي أظهر ما يدل على رغبته في تمني الشدائد مع الرسول ﷺ حباً له أكثر ممن كانوا معه من الصحابة، وذلك لما قال لحذيفة ﷺ: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة ﷺ: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتيني بخبر القوم؟ جعله الله معي يوم القيامة!! فسكتنا، فلم يجبه منا أحد ...) الحديث. [٣]

فالرجل لما قال كلامه السابق و لم يستثن فيه، فهم منه حذيفة ﷺ الجزم والقطع، بأنه كذلك كان يفعل في الاجتهاد والمبالغة في القتال. أنكر عليه ذلك برفق، وأخذ يخبره ويعلمه بما يفهم منه أن أصحاب محمد ﷺ كانوا أقوى وأحرص على إظهار دين الله، وأحب في رسول الله ﷺ وأشجع منه، ومع ذلك

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه (١٣٢/٧) حديث رقم ٣٧٢٤) مرجع سابق .

(٢) نقلاً عن: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٣٦٣/٧) وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢١١/٤) مرجعان سابقان.

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (١٤١٤/٣) حديث رقم ١٧٨٨، مرجع سابق.

فقد انتهت بهم الشدائد والمشاق والفتن إلى ما ذكر في الحديث، فإذا كان لهم، فهو لغيرهم بالضعف أولى. [1]

ومما يدل على رفقه وحلمه زمن الفتن، موقفه مع جندب ﷺ يوم الجَرَعة[2]، ذلك اليوم الذي خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولاه عليهم عثمان ﷺ، فردوه، وسألوا عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما، فأجابهم إلى ما سألوه.

ويوضح الراوي ذلك بقوله: "جئت يوم الجرعة، فإذا رجل جالس، فقلت: ليهراقن اليوم ها هنا دماء. فقال ذاك الرجل: كلا، والله ! قلت: بلى، والله ! قال: كلا، والله ، قلت: بلى، والله، قال: كلا والله، إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه ، قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك، وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني ؟ ثم قلت: ما هذا الغضب ؟ فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة ﷺ". [3]

المسلك العاشر: الصبـــــر :

الفتنة بجميع أنواعها من الله تعالى، يبتلي الله عباده بها، اختباراً وامتحاناً، على وجه الحكمة [4]، يقول سبحانه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [5]

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي (٦٤٦/٣) دار ابـن كـثير ، ط. الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) الجَرَعة: بفتح الجيم والراء موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة، كان به فتنة في زمن عثمان بـن عفـان رضي الله عنه، انظر: هامش صحيح الإمام مسلم (٢٢١٩/٤) وبلوغ الأماني من أسرار الفـتح الربـاني ، لأحمد البنا (١٠٦/٢٣) والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٢/١) مراجع سابقة.

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٢٢١٩/٤) حديث رقم ٢٨٩٣. وأخرج نحوه الإمام أحمد . انظر: الفتح الرباني بترتيـب مـسند الإمـام أحمـد الـشيباني (١٠٦/٢٣) حديث ٢٣٦ (٤٠/٢٤) حديث رقم ١٠٥، مراجع سابقة.

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٣٧٤) مرجع سابق.

(٥) سورة الأنبياء / الآية : ٣٥.

والواجب على العبد حيئذ ضبط النفس بالصبر تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ . [1]

ويؤكد شيخ الإسلام أهمية الصبر في النجاة من الفتن بقوله: "فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر" [2]وفي سبيل إقرار الصبر منهجاً مهماً للنجاة من الفتن يقول حذيفة ﷺ : "تعودوا الصبر، فأوشك أن يترل بكم البلاء، أما إنه لا يصيبكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ ". [3]

والقول ما قاله ﷺ ، ولعل في قصة مقتل والده يوم أحد أمام عينيه، ثم عفوه وحلمه على قتلة أبيه أكبر دليل على قوة صبره في شدة الفتن، ذلك أنه لو لم يَتَحَلَّ بالصبر لحصلت فتن في صفوف المسلمين، لا يعلم مداها إلا الله تعالى، لكنه صبر، وقال قولته المشهورة: " غفر الله لكم. أو يغفر الله لكم، وهو ارحم الراحمين". [4]

وكأن هذا الموقف، كان له اختباراً وتمحيصاً من رب العزة والجلال، ولقد نجح ﷺ في الاختبار أيما نجاح، وبقية الرواية تبين ذلك، يقول هشام بن عروة بن الزبير رضي الله عنهم: " قال أبي: فو الله مازالت في حذيفة منها بقية خير، حتى لقي الله عز وجل" [5] ويعلق الحافظ ابن حجر على هذه العبارات بقوله: أي ما زالت في حذيفة ﷺ من هذه الكلمة التي قالها صبراً واحتساباً ، أي

---

(١) سورة الفرقان / الآية: ٢٠ .

(٢) الاستقامة (٣٩/١) مرجع سابق.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٨٣/١) وتهذيب تاريخ دمشق الكبير (١٠٢/٤) مرجع سابق.

(٤) رواية عن الإمام البخاري، سبق تخريجه .

(٥) المرجع السابق، وسبق تخريجه .

بسببها خيراً كثيراً، ويؤخذ منه أن فعل الخير تعود بركته على صاحبه في طول حياته.[1]

ومما يدل على قوة ضبطه لنفسه، وتسليحها بسلاح الصبر موقفه لما أرسله الرسول ﷺ عيناً على العدو في غزوة الأحزاب، ووصاه بعدم إثارة القلاقل هناك، فلما ذهب جاءته الفرصة على طبق من ذهب للخلاص الأكيد من رأس الكفر في ذلك الوقت- أبو سفيان- ويحكي ﷺ الموقف بقوله: "فلما وليت من عنده، جعلت أمشي في حمام، [2] حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يُصْلي ظهره بالنار. فوضعت سهماً في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول الرسول ﷺ: لا تذعرهم علي، ولو رميته لأصبته"[3]

المسلك الحادي عشر: الرفقة الصالحة :

إن للصحبة الطيبة أثراً واضحاً وملموساً في النجاة من الفتن، ذلك لأن الصديق يعمل كوسيلة بناءة، وأداة فعالة في التعاون على الخير، والحث عليه، والتنفير من الشر، والتحذير منه، وكذلك فإن القرين يقتدي دائماً بقرينه [4] في الخير والشر، لهذا جاءت وصية الرسول ﷺ بالرفقة الصالحة: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي).[5]

---

(١) أنظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣٢/٧) مرجع سابق.

(٢) الحمام: لفظة عربية مشتقة من الحميم، وهو الماء الحار، ومعناه: أن الله عافاه فلم يجد البرد الذي كان يجده الناس في ذلك الوقت. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢٣/٦) دار الكتب العلمية- بيروت. ط. الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) صحيح مسلم، وسبق تخريجه .

(٤) انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري (٣٩/١٣) مرجع سابق.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه مع عون المعبود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤٨٢٤ (٧٩/١٣) دار إحياء التراث - بيروت ط. الثانية ١٤٢١هـ. وأخرجه الإمام الترمذي في الزهد، باب ماجاء في صحبة المؤمن، انظر: سنن الترمذي بشرح ابن العربي(٢٤٢/٩) مرجع

وحذيفة ﷺ لم يصل إلى ما وصل إليه في معرفة الفتن إلا من خلال صحبته الدائمة والمستمرة للرسول ﷺ والروايات الكثيرة في هذا تؤكد ذلك، فمنها على سبيل المثال: قول حذيفة ﷺ: " كنت مع النبي ﷺ، فانتهى إلى سباطة قوم، [1] فبال قائماً، فتنحيت، فقال: (ادنه) فدنوت، حتى قمت عند عقبيه.

وفي رواية أخرى قال حذيفة ﷺ: "فلقد رأيتني أنا ورسول الله ﷺ نتماشى". [2]

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ : " أتيت النبي ﷺ وهو يصلي بين المغرب والعشاء، فلم يزل يصلي حتى صلى العشاء، فلما انصرف تبعته، فقال: من هذا ؟ قلت: حذيفة فقال: اللهم اغفر لحذيفة ولأمه". [3]

ومما يدل على رفقته الدائمة للرسول ﷺ حتى في أسفاره قول حذيفة ﷺ : " كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمار يسوقه أو قال: عمار يقوده، وأنا أسوقه". [4]

* * *

سابق. وقال الأرناؤوط : رواه أبو داود والترمذي، وإسناده حسن، انظر: هامش جامع الأصول (٦٦٦/٦).

(١) سباطة: السباطة هي المزبلة، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨٣/٢) .

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين (٢٢٨/١) حديث رقم ٢٧٣ ، مرجع سابق.

(٣) نقلاً عن : تهذيب تاريخ دمشق الكبير (٩٨/٤) مرجع سابق. وأخرج الإمام أحمد نحوه في مسنده حديث رقم ٢٣٤٨٣ (٤٠٤/٥) وقام العلامة الألباني بتصحيح الرواية المذكورة، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (ص ٦٢١) رقم الحديث ٣٣٨٢ مراجع سابقة.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (المغازي / ٦٤٨).

الخاتمة :

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد مكنني الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه أن أعيش وقتاً ممتعاً مع شخصية عظيمة، هي شخصية حذيفة بن اليمان ﷺ ، اكتشفت خلالها كثيراً من المواقف المضيئة في حياته، اكتشفت أن في حياته جوانب عظيمة متعددة، الواحدة منها كافية لرسم خطوط عريضة، بل وضع منهاجاً لحياة طيبة مباركة، ورغم ما كتبته، وكتبه غيري كثيرون عن هذه الشخصية العظيمة، إلا أنه لا تزال فيه بقية خير، كما عبر عن ذلك الصحابي الجليل عروة بن الزبير ﷺ لما قال: " فو الله ما زالت في حذيفة منها بقية خير". (١)

لهذا فإنني أجد قلمي مسوقاً إلى ذكر النتائج والتوصيات التالية:

أولاً : لا يكاد يسلم الإنسان من التعرض للفتن بصورة أو بأخرى، خاصة في هذا الزمان الذي أصبح فيه العالم يموج بالفتن المختلفة.

ثانياً : إن سبل النجاة من هذه الفتن، هي تلك السبل التي سلكها المؤمنون السابقون، من أصحاب محمد ﷺ، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، ذلك لأنهم هم أهل العلم بما قاله الله ورسوله، وهم أهل العمل بذلك.

ثالثاً : دلت مجموع الروايات الصحيحة أن حذيفة بن اليمان ﷺ كان من أعلم الصحابة رضوان الله عليهم بالفتن رواية ودراية، حريصاً على معرفة ما يتصل بها، حتى صار مختصاً بها خبيراً بدقائقها.

---

(١) صحيح البخاري، وسبق تخريجه .

رابعاً: كان لحذيفة بن اليمان ﷺ منهج قولي حكيم في مقاومة الفتن ظهرت من خلال التحذير الدائم من الوقوع فيها، والتخويف المستمر من عواقبها.

خامساً : كان لحذيفة بن اليمان ﷺ منهج عملي دقيق في مقاومة الفتن ظهرت من خلال بعده عن كل ما يثير الفتن ويؤججها، وفي المقابل سلوكه كل السبل التي تدعو إلى النجاة منها، وكان في ذلك كله متبعاً للكتاب والسنة.

وبناء على هذه النتائج أوصي بما يلي:

١- أوصي نفسي وكل مسلم بتقوى الله عز وجل واللجوء اليه في السراء والضراء.

٢- طلب العلم النافع ولا يتأتى ذلك إلا من العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح، لأن الفتنة إنما تقع على الإنسان إذا اشتبه عليه الحق بالباطل.

٣- تحقيق الوحدة ، بلزوم جماعة المسلمين، لأن من أعظم الفتن فتنة التفرقة والاختلاف.

٤- الحرص على إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن معظم الفتن إنما تنشأ من تعطيل هذه الشعيرة العظيمة، التي تعد صمام الأمان للوقاية من الفتن قبل وقوعها، وبعدها.

٥- أن من أراد السلامة والعاقبة المحمودة من الفتن عند وقوعها فعليه باعتزال الفتنة وأهلها، وليكف لسانه عن الخوض فيها.

٦- في زحمة الفتن ينبغي على الإنسان أن يتعهد نفسه، ويحاسبها، ويعرضها على أهل الخير والصلاح، لأن الخير دائماً يبدأ بالنفس، ومن النفس، والشر كذلك، فقد يكون الإنسان متلبساً ببعض الفتن وهو لا يشعر.

٧- عدم التعلق بالدنيا وزينتها لأن ذلك من أعظم الأسباب للوقوع في فتنة الشهوات التي هي باب خطير من أبواب الفتن، وأصل كبير من أصول الشر والمعاصي.

٨- التخلق بالأخلاق الإسلامية الحميدة، خاصة تلك الأخلاق التي تعد صفات أساسية ومطلوبة في زمن الفتن، كالرفق والحلم والأناة والصبر.

٩- التأكيد على القول: إن ما تركه حذيفة ﷺ من مرويات وسيرة عطرة تعد بحق ثروة غالية للأمة المسلمة، ينبغي ويجب الاستفادة مها، فليت أبحاثاً أخرى تتصدى لدراسة هذه الجوانب، كلاً في مجاله وتخصصه، حتى ترتوي الأمة المسلمة مما أودعه الله في هذا الجيل الفريد، من سمات وملامح وصفات قل أن يجدها التاريخ في غيرهم.

هذا وأسأل الله السداد والتوفيق والقبول، وقبل ذلك الإخلاص والمتابعة، وأن يجعله علماً نافعاً في حياتي وبعد مماتي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم**.

٢- **الاستقامة**/ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط. الأولى ١٤٠٢هـ

٣- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**/ لأبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل- بيروت.

٤- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**/ لابن الأثير بدون الطبعة ولا سنة الطبع.

٥- **الإصابة في تمييز الصحابة**/ للحافظ ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية- بيروت.

٦- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**/ للإمام ابن القيم، دار المعرفة- بيروت، توزيع: دار الباز- مكة المكرمة.

٧- **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**/ للعلامة علاء الدين مغلطاي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٨- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**/ للإمام أبي الفضل عياض بن موسى، المعروف بالقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ودار الندوة العالمية للطباعة والنشر.

٩- **البستان**، معجم لغوي مطول/ للعلامة البستاني، مكتبة لبنان ط. الأولى ١٩٩٢م.

١٠- **بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني**/ لأحمد البنا المعروف بالساعاتي، دار الحديث- القاهرة.

١١- **بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها مختصر شرح صحيح الإمام البخاري**/ للمحدث عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي - دار الكتب العلمية-بيروت.

١٢- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**/ للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط. الثانية ١٤١٠هـ.

١٣- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**/ للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٤- **تفسير القرآن العظيم**/ للحافظ ابن كثير، تحقيق: جماعة من العلماء، ط. دار الشعب والقاهرة، بدون سنة الطبع.

١٥- **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**/ لابن عساكر ، هذبه ورتبه: الشيخ عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٦- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**/ للحافظ جمال الدين المزي، مؤسسة الرسالة، ط. الخامسة ١٤١٥هـ.

١٧- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**/ للإمام ابن الأثير الجزري- مؤسسة عبد الحفيظ البساط- بيروت ١٣٩٢هـ.

١٨- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** للحافظ/ أبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٩- **حياة الصحابة**/ للعلامة: محمد بن يوسف الكاندهلوي، مراجعة الشيخ: هشام البخاري، المكتبة العصرية- صيدا .

٢٠- **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**/ للإمام محمد بن يوسف الصالحي دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**/ للشيخ الألباني، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، دمشق، ط. الرابعة ١٤٠٥هـ. وطبعة مكتبة المعارف- الرياض، ط. الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٢- **سنن أبي داود**/ للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث- القاهرة. وطبعة دار ابن حزم- بيروت، ط. الأولى ١٤١٩هـ. وطبعة مكتبة المعارف- الرياض. ط. الأولى ١٤٢٥هـ. وطبعة مكتبة المعارف- الرياض، ط. الأولى ١٤٢٥هـ .

٢٣- **سنن الترمذي** / للإمام أبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت بدون الطبعة وتاريخها.

٢٤- **سير أعلام النبلاء**/ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد، المعروف بالذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٥- **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**/ د. مهدي رزق الله مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٢٦- **شرح النووي على صحيح مسلم**/ للإمام النووي، مكتبة الريان- القاهرة.

٢٧- **شعب الإيمان**/ للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٤١٠هـ.

٢٨- **صحيح البخاري**/ للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ١٤١٤هـ.

٢٩- **صحيح مسلم**/ للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد- السعودية ١٤٠٠هـ.

٣٠- **ضعيف سنن الترمذي**، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني- نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

٣١- **الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن**/ لمعالي الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ مؤسسة الحرمين الخيرية بالتعاون مع مكتب الدعوة والإرشاد- الرياض عام ١٤١١هـ.

٣٢- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**/ لأبي عبد الرحمن الآبادي،دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط. الثانية ١٤٢١هـ.

٣٣- **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري**/ للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشر: إدارة البحوث العالمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية ١٤٠٠هـ.

٣٤- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**/ للشيخ أحمد البنا الشهير بالساعاتي، دار الحديث- القاهرة.

٣٥- **الفقه في الدين عصمة من الفتن/** الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، ط. الأولى ١٤٢٥هـ.

٣٦- **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،** جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المملكة العربية السعودية. ط. عام ١٤١٥-١٤١٦هـ.

٣٧- **مستدرك الحاكم** / للحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٤١١هـ.

٣٨- **مسند الإمام أحمد/** تحقيق: الأستاذ حمزة الزين، دار الحديث- القاهرة، ط. الأولى ١٤١٦هـ. وطبعة مؤسسة قرطبة – مصر، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

٣٩- **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير/** للحافظ ابن كثير إشراف: الشيخ المباركفوري وجماعة من العلماء، دار السلام- الرياض، ط. الأولى ١٤٢٠هـ.

٤٠- **مصنف ابن أبي شيبة** /لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

٤١- **معجم تهذيب اللغة/** للعلامة الأزهري، تحقيق، رياض قاسم، دار المعرفة- بيروت، ط. الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٢- **المعجم الكبير/** للإمام الطبراني، موقع شبكة مشكاة الإسلامية على الإنترنت.

٤٣- **المفردات في غريب القرآن/** لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل، دار المعرفة- بيروت، ط. الأولى ١٤١٨هـ.

٤٤- **الملعونون في السنة الصحيحة/** د. باسم فيصل الجوابرة، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية- المملكة العربية السعودية عام ١٤٢٢هـ.

٤٥- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/** للعلامة أبي الفرج محمد بن الجوزي دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٦- **منهاج السنة النبوية**/ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط. الأولى ١٤٠٦هـ.

٤٧- **الموافقات في أصول الشريعة**/ للإمام ابن إسحاق الشاطبي، المكتبة العصرية- صيدا، ط. الأولى ١٤٢٣هـ.

٤٨- **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ لابن الأثير، دار الكتاب المصري- القاهرة- ودار الكتاب اللبناني- بيروت.

٤٩- **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**/ لعبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة- الرياض ، ط. الثانية ١٤١٩ هـ.

* * *